الفصل التاسع

برادات الأمل : اتجاه إجباري

يتناول الفصل عودتي من الدراسة في جامعة دمشق ومواجهة تحدي الظروف التي فرضتها علي حكومة قطر . يتضمن الفصل ثلاثة أقسام : ١-العودة ومواجهة الإقصاء ٢- فكرة برادات الأمل ٣- برادات الامل من فكرة إلى واقع.

العودة ومواجهة الإقصاء

عدت إلى الدوحة - عن طريق بيروت- سعيدا بالرجوع إلى الوطن، ولقاء الوالد والأهل والأصدقاء والمعارف بعد غياب استغرق عام ونصف العام. عدت عقب نيلي اجازة التخرج من جامعة دمشق وقد حققت الهدف الذي ذهبت من أجله. وكنت واحداً من أول ثلاثة طلاب قطريين يتخرجون من الجامعة، هم عبد الله يوسف الجيدة الذي تخرج من جامعة الرباط كلية الآداب قسم علم الاجتماع، وأحمد خليفة السويدي من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة وتخصصه علوم سياسية، وأنا من جامعة دمشق كلية التجارة شعبة إدارة الاعمال.

وجدير بالذكر أنني سبقت زملائي في الدراسة في جميع المراحل، فعندما عدت الى المدرسة في عام ١٩٥٦ بعد استقالتي من العمل في شركة نفط قطر، التحقت بالصف الخامس الابتدائي وكان هناك أربعة صفوف تالية أعلى من الصف الخامس بلغها سلّم التعليم في قطر في العام الدراسي ١٩٥٧/١٩٥٦. ولكنني اختصرت المسافة تدريجيا بيني وبين بقية زملاء الدراسة. وفي العام الدراسي ١٩٦٦/١٩٦٥ لحقت بهم جميعا، وتخرجت مع أول دفعة من الطلاب القطريين تتخرج من التعليم الجامعي.

ومما لا شك فيه ان الفرص التي اتيحت لي والتشجيع الذي لقيته من أساتذتي وزملائي، قد ساعداني على هذا التقدم ولكن الدور الاساسي يعود لإصراري الذاتي على شق طريقي بالرغم من الصعوبات الجمة، وذلك لتعويض تأخري في الالتحاق بالدراسة النظامية، أضافة لما واجهته خلال دراستي من تحديات.

قدمت شهادتي الجامعية الى وزارة المعارف فرحا بها، تمهيدا للحصول على عمل مناسب. وكذلك فعل زميلاي خريجا اول دفعة جامعية من الطلاب القطريين، احمد السويدي وعبد الله الجيدة. وكنت أظن بأن الشهادة الجامعية تجبُ ما قبلها أو هكذا قيل لي. انتظرت التعيين مع زميلي الآخرين، فجاء تعيين عبد الله الجيدة نائبا لمدير دائرة العمل في حكومة قطر وعين أحمد السويدي رئيسا للحسابات في وزارة المعارف ولم يصدر أمر بتعييني، وقيل لي بان تعييني تأخر لبعض الوقت، ثم قيل لي ربما من الافضل ان أراجع الشيخ خليفه بن حمد ولي العهد ونائب الحاكم ووزير المالية والمشرف على الادارة العامة آن ذاك.

قمت بمراجعة الشيخ خليفه في مطلع شهر سبتمبر. كانت المراجعة في مجلسه بعد صلاة العصر حيث يتعذر مقابلته في دار الحكومة إلا بموعد و لم يكن من السهل الحصول عليه. قدمت شهادتي الجامعية للشيخ خليفه وبعد تمعّنه فيها، قال لي بأن الشهادة موقعة من وكيل الجامعة وليس رئيسها، وكأن ذلك عيب في شهادتي. فأوضحت له بانني حرصت على استخراج هذه الشهادة قبل عودتي مثل بقية زملائي وذلك حتى صدور الوثائق الرسمية في بداية العام الدراسي الحالي.

انتظرت إجابة من الشيخ خليفه في زيارتي الثانية لمجلسه بعد عدة أيام ولم اسمع إجابة مباشرة أو غير مباشرة فأعدت الزيارة لمرة او مرتين ثم كلمته مرة أخرى، وبعد انقضاء المجلس قال لي عبد الرحمن بو حميد الذي يتلقى طلبات المراجعين من أصحابها ويبلغهم في الغالب بقرار الشيخ خليفه، أن الشيخ خليفه يريدني ان أعمل في شركة شل وعليَ مراجعة شئون التوظيف في الشركة في مقرها في رأس أبو عبود بعد يومين.

توجهت إلى شئون الموظفين بشركة شل وقدمت شهادتي وطلب التوظيف فقيل لي، راجعنا بعد أسبوع. وراجعت الشركة وقابلني أحد الموظفين الانجليز وطلب مني بعد مقابلة طويلة نسبيا كانت بمثابة تحقيق، تقديم امتحان روتيني فقلت له أنني خريج جامعة وزميلاي تم تعيينهما في مناصب كبار الموظفين في الحكومة دون امتحان. فرد بأن هذا هو نظام الشركة!، فقبلت أن أقدم الامتحان الروتيني لعل ذلك يحل عقدة العمل في وظيفة مناسبة.

بعد مدة قصيرة راجعت الشركة فقابلني الموظف الانجليزي نفسه وقال لي انه لا توجد وظيفة مناسبة لي في الوقت الحاضر، وسوف يتصلون بي عندما تكون هناك وظيفة تناسب مؤهلاتي. عندها أيقنت بأن تحويلي للشركة من قبل الشيخ خليفه كان تخلصا من مراجعتي له. ولكنني قررت ان أراجع الشيخ خليفه مرة أخرى، فراجعته مرة او مرتين دون طائل ثم لم أراجعه بعد ذلك أبدا بشأن العمل في أي وقت من الأوقات.

******

في اثناء بحثي عن وظيفة كنت أحاول ان استأنف حياتي الاعتيادية التي زاولتها قبل سفري إلى سوريا، فكنت أداوم على الحضور في مجلس والدي وأتردد على بقية مجالس أم غويلينه العامرة بأهلها وعلاقات الجيرة والود بينهم. كما كنت أذهب الى الغارية لزيارة شقيقتي أم راشد؛ لولوة بنت خليفة وخالتي حصة بنت يوسف وهي بمثابة أمي وصاحبة فضل علي وعلى أشقائي بعد وفاة والدتي ونحن صغار. وخالتي حصة بنت يوسف وولداها عبد الله وعلي بن راشد زوج شقيقتي، كانوا من آخر ثلاثة بيوت هجرت الغارية مضطرة للسكن في مدينة الشمال بضغط من الحكومة تحت تهديد قطع الخدمات الحكومية عنهم في الغارية. وكانت العائلتان الأخريان هما عائلة سالم بن حمد وسلمان بن علي.

وخلال فترة الانتظار تلك كنت على اتصال مع الاصدقاء بشكل يومي، أتبادل معهم الاهتمامات والهموم الكثيرة المتواترة في قطر آنذاك. وكنت أذهب مع أصدقاء نادي الطليعة أو مع الوالد والأقرباء والجيران أحيانا في رحلات بحرية إلى جبل فويرط، نتسلى بصيد السمك ونتمتع بالسهر في ضوء القمر، نشوي سمك النيسر الطازج في موسمه حال اصطياده بالشباك ونطلق لآمال وأحلام الشباب عنانها.

كما كنت أقوم بالمرور نهارا خلال الدوام الحكومي على من أعرفهم في وزارة المعارف وبقية الادارات الحكومية . وكنت مسرورا بحسن الاستقبال والتهنئة والتعاطف الذي ألقاه ممن ألتقي بهم، وهم بالطبع من الزملاء والمعارف المتعاطفين معي وليس بينهم مسئولين كبار في الحكومة أو من يدور في فلك السلطة بعد أن كثر الموالون بل المنافقون والمصطادون في الماء العكر، بينما تراجع المناصرون لحركة ١٩٦٣ نتيجة ضغط الاجهزة الحكومية عليهم.

وفي هذه الإثناء تلقيت دعوة إلى حفل تكريم خاص لأوائل الخريجين القطريين أقامه أحد موظفي المعارف. كانت الدعوة موجهة إلي بصفتي مدعواً من ضمن المدعوين لحضور الحفل وليس باعتباري من المكرمين مع زميلي عبد الله الجيدة وأحمد السويدي. وكان علي أن أقرر، هل أحضر الحفلة أم أقاطعها ؟. وكنت أميل نفسيا الى مقاطعة الحفلة التي لم تكن حفلة رسمية أقيمت باسم الوزارة وعلى حسابها، كي التمس العذر لمن أقامها لعدم تكريمي مع بقية أوائل الخريجين وذلك بحكم كوني أكملت الدراسة على حسابي الخاص. الحفل لم يكن اذاً حفلة تكريم رسمية للمتخرجين من الطلبة الذين يدرسون على حساب المعارف.

بل هو حفل خاصة أقامه شخص تجاهل تكريمي أسوة بزملائي أوائل الخريجين القطريين، ولكنه قرر دعوتي لحضور حفلة التكريم رفعا للحرج عن نفسه أمام الاخرين، ماسكا العصا من النصف كما يقال.

وفي الحقيقة كان القرار صعبا ويحتاج إلى تفكير، فانا أعيش حالة من الاقصاء على المستوى الرسمي ولست في حاجة لمواجهة مع زميل أخطأ في حقي ولكنه بكل تأكيد ما كان بإمكانه أن يقيم حفلة أكون أحد المكرمين فيها بينما السلطة تتجاهل عمدا تخرجي، وهو على علاقة طيبة مع السلطة ويسعى إلى تحسينها ربما لصالح خدمة الوطن بحسب اجتهاده. قلّبت الأمر وتوصلت إلى أن حضوري قد يكون أجدى من غيابي الذي قد لا يحس به البعض، ولكنني قررت حضور الاستقبال فقط لإثبات وجودي دون أن أشارك في الوليمة.

حضرت حفل التكريم الذي كان على ما أذكر في نادي موظفي شركة نفط قطر في بناية الفولكس واجن بشارع رأس ابو عبود. وقد كان حضوري محرجا للزميلين المكرمين ولصاحب الدعوة وكبار موظفي المعارف. تلقيت التهاني بالتخرج مثلما تلقاها كل من أحمد السويدي وعبد الله الجيدة. وربما كان يصاحب التهنئة أحيانا اعتذار صامت لحالة الاقصاء التي فرضت علي من قبل الحكومة، لاسيما ممن لم يفقدوا كامل حيائهم من كبار موظفي المعارف. وبعد حوالي نصف ساعة من الاستقبال خرجت من الحفلة قبل ان يفتتح البوفيه وخرج معي قلة من الاصدقاء الذين اصطحبوني إلى مطعم على اطراف سوق واقف جنوب بيت المانع، يملكه طباخ فلسطيني اسمه محمد كان يعمل معنا في قسم التغذية بوزارة المعارف عام ١٩٦٠، حيث احتفل الأصدقاء بتخرجي، جبرا لخاطري مؤكدين مقولة " يعرف الصديق في وقت الضيق " .

ومن الاشياء التي شغلت بها نفسي في فترة الانتظار، ترددي مع خالد الربان على محل يملكه والده المبعد من قطر في سياق العقوبات التي أوقعت بحق بعض المعتقلين في أعقاب حركة ١٩٦٣. و يقع ذلك المحل في شارع مشيرب ويتعامل في بيع الادوات الصحية بالإضافة إلى كونه مكتبا لأعمال المقاولات والبناء التي كان يقوم بها محمد بن خالد الربان لنفسه وربما لعملائه في مجال المقاولات.

كان المحل مهملا تتراكم فيه انابيب المياه ومستلزماتها وبقيت الأدوات الصحية وبعض مواد البناء، يحتاج إلى جرد وتنظيم لإعادة استخدامه من قبل خالد الذي سجل في الدراسة بالانتساب في جامعة بيروت العربية وعاد لمزاولة أعمال والده، وكان في نيته الزواج من ابنة عمه والاستقرار في قطر. وقد تزوج خالد بالفعل من ابنة عمه ورزق بالأبناء قبل ان يفكر أي من زملاء الدراسة في الزواج، فكان زواجه فاتحة خير وبادرة اتبعها كل زميل كان مقتدرا على متطلبات الزواج.

قمنا بجرد المحل وتوظيف باعة وأعدنا افتتاحه للتعامل مع الجمهور. وكنت في نفس الوقت قد بدأت استفيد من آلة طابعة باللغة الانجليزية موجودة في المكتب في القيام بمراسلة شركات تجارية كي احصل منها على توكيل ببيع بضائعها للتجار في قطر وفق نظام الوساطة التجارية. وأذكر أن اهتمامي تركز على مواد البناء كما انصب اهتمامي على الصين لسهولة التعامل مع مؤسساتها التجارية ذات الملكية العامة والثقة بها. وكنت في هذه الفترة استخدام صندوق بريد المحل للمراسلة مع المصدرين.

حصلت على استجابات من المؤسسات الصينية خاصة، وبدأت أتصل بتجار مواد البناء ومنهم جارنا في ام غويلينه حسن السعدي، لعلني استطيع أن أبدأ نشاطا تجاريا بدون رأسمال. ولكن عمل الوساطة

كان يتطلب وقتاً يتم فيه بناء الثقة مع المصدرين والموردين على حد سواء، بالقدر الكافي الذي يشعر الطرفين بأن الوسيط قادر على تقديم خدمة موثوق بها ويحتاجها الطرفان.

وخلال هذه الفترة من ذهابي إلى شارع مشيرب تعرفت على سعد بن ماجد السعد صاحب المحل المجاور و شبيب وعلي العطية اللذين يملكان متجرا مشابهاً لمتجر الربان وقريباً منه، وتوطدت معرفتي بعلي بن ناصر العطية وهو من أكثر آل عطية اهتماما بالشأن الوطني العام بعد خليفة وحمد بن عبد الله العطية. وكذلك نمت علاقتي بمدير محل شبيب وعلي العطية، الصديق أسعد البرغوثي ومن خلاله تعرفت على عدد من الاخوة العرب.

ولا يفوتني أن أذكر أنني فور عودتي إلى قطر لم أتوان عن الاتصال بمعارف علي الغنام وأغلبهم يقطن في الوكرة ومنهم من يذهب ويجئ إلى مدينة الجبيل من آل خاطر الذين انعقدت بي الصلة معهم من خلال مجلس محمد بن راشد الخاطر أو من خلال جابر بن ناصر البو حسين ومن يزوره من أهل مدينة الجبيل. ارسلت رسالة أطمئن فيها بال والد علي الغنام وأسرته وابن عمه علي بن محمد الغنام شقيق زوجته أم حسن، على علي الغنام وصحته وأفيدهم علماً بأنني اراسل علي بن جاسم الغنام من خلال اصدقاء وبإمكاني ان أنقل إليه رسائلهم. وحالما بلغتني الردود من الجبيل بدأت المراسلة مع علي الغنام على العنوان الذي اعطاني اياه في آخر لقاء جرى بيننا في دمشق عندما كان محتجزا مع الاستاذ صلاح الدين البيطار وآخرين في فيلا للضيافة، كما سبقت الاشارة.

******

أثناء قيامي بالمراجعة والمتابعة لجهات التوظيف بمفردي بحثا عن وظيفة مناسبة ، كان عدد من أقاربي يسألون والدي عن وضعي وأبدى بعضهم الاستعداد للتدخل، أذكر منهم ابن خالي جاسم بن محمد بن يوسف و محمد وابراهيم بن سلطان البورايح وخميس بن محمد البنغيث وخليفة بن ناصر (بن طوار). وكنت أرجئ الأمر وأطمئن والدي بأنه لا توجد مشكلة فأنا أراجع بنفسي وسوف يتم توظيفي بإذن الله.

وعندما طالت المدة ألح علي والدي خوفا من اضطراري الى الهجرة عن قطر بحثا عن عمل، فأكدت له بأنني لم أهاجر من قطر في السابق ولن أهاجر الآن مهما كانت الصعوبات، مشكلتي هنا وحلها هنا أيضا. ولكنه بعد أن مر على عودتي ومراجعاتي الفردية حوالي ثلاثة أشهر، ألح عليَّ الوالد قائلا : إن كنت لا تريد أن أذهب معك أو يذهب غيري من الجماعة إلى الشيخ أحمد بن علي وتريد أن تجنبنا الإحراج، فإن خليفه بن ناصر يذهب الى الحاكم بشكل منتظم ولن يكون في ذهابك معه إلى الشيخ احمد بن علي أي إحراج له، فأنت الذي ستكلم الشيخ احمد بنفسك وليس خليفه بن ناصر.

نزولا عند رغبة والدي ولمعرفتي الشخصية بخليفة بن ناصر وتقديري له وعلمي بانه اتصل بوالدي وزاره عارضا تدخله وهو من كبار البوكوارة، وربما يكون له اعتبار عند الحاكم يسهل علي حل مشكلة العمل في بلدي. وافقت والدي وذهبت مع خليفة بن ناصر لمقابلة الشيخ أحمد في قصره في الريان.

ذهبت في الصباح باكر إلى خليفه بن ناصر في فريج بن عمران في مجلس ارحمه بن جهام حسب الاتفاق. ذهبت بسيارة الصديق الذي كان يشاطرني، همّ منعي من العمل ، جابر بن ناصر البو حسين والذي اعارني سيارته الفولكس واجن بالرغم من عدم حيازتي رخصة قيادة. وذهبت مع خليفه بن ناصر في سيارة جابر البو حسين، حوالي السادسة صباحا إلى قصر الريان لمقابلة الشيخ أحمد.

والحقيقة أنني لم أكن متفائلا، فآخر مرة قابلت فيها الشيخ أحمد كانت في عام ١٩٦٤ كما سبقت الاشارة. وكانت جملة "يستوي خير " هي كل ما قاله لي عندما قدمت رسالتي إليه ملتمساً إعادة البعثة الدراسية الحكومية التي قطعت عني وذلك لاستكمال دراستي في مصر. ولم (يستوي خير) للأسف، بل على العكس استمر فصلي من البعثة ومنعي من العمل وأبعدت من مصر أيضا بعد تلك المقابلة.

راجعت الشيخ أحمد في مجلسه في الريان بصحبة خليفه بن ناصر عدة مرات. ولا يحضرني الآن شيئا مما قاله آنذاك، ولعل السبب على ما يبدو أنه لم يقل شيئا يشعرني بالأمل، وكان واضحا أنه غير مستعد للاستجابة الى طلبي ويحتاج إلى أن يسمع مني أكثر مما قلته، ربما أراد اعتذارا وندما وتوسلا، ولم يكن بامكاني ولا في نيتي ان أتجاوز حدود الشرح والتأكيد على طلب رفع منع العمل في الحكومة عني. ولكن هذا لم يكن يكفي الشيخ أحمد ولا الشيخ خليفة قبله، قطبي السلطة في ذلك الوقت.

هنا أدركت أن طريق العمل في الحكومة وشركات النفط مسدود أمامي وما هو مطلوب مني تقديمه من ولاء أعمى، أنا غير قابل به ولا قادر عليه، وعلي اذاً أن أتدبر أمر معيشتي متمسكا بكرامتي في بلدي بكافة السبل ومهما كانت سياسات الاقصاء التي أواجهها.

لم تكن الهجرة من قطر من أجل العمل مطروحة أو مقبولة عندي. ففصلي من البعثة ومنعي من العمل كان نتيجة لابداء الرأي وممارسة حرية التعبيربصدق وصراحة، الأمرين اللذين اعتاد أهل قطر ممارستهما سابقا، ولم يكن تمسكي بحقوقي كمواطن وكانسان من أجل قول كلمة الحق بقدر طاقتي الا من أجل الإصلاح في قطر ومحيطها. وكنت أدرك بأن حالة حرية التعبير والدعوة الى الإصلاح والعيش بكرامة ليس مكفولا كذلك في بقية الدول العربية التي يمكن أن أهاجر إليها، وربما لو هاجرت لتوجب عليَّ ان أتخلى عن حقي في التعبير أو أواجه ما واجهته في قطر من إقصاء وربما أكثر من ذلك، لاسيما في بلد ومجتمع لا يعتبران أن لي حقا في الدعوة للإصلاح في مكان امتنَّ علي بالضيافة.

وهذا أمر لا أطيقه ولن أقبله، ولو كنت أقبله لخضعت له في بلدي قطر وخبأت رأسي في الرمال وتمتعت بما يسمح به وضعي ومؤهلاتي من امتيازات وظيفية في ذلك الوقت، وهي كثيرة نسبيا فيما يخص الخريجين وكبار موظفي الحكومة. لذلك كله لم افكر للحظة في الهجرة من قطر وإنما قررت أن أواجه الاقصاء بالاستغناء عن الوظيفة الحكومية والاعتماد على نفسي في توفير معيشة كريمة. هذا بالرغم من اقتراحات تلقيتها ودعوات كريمة مشكورة للانتقال الى أكثر من بلد في الخليج للاقامة والعمل فيه.

قررت البقاء في قطر فالمشكلة والحل أيضا، بالنسبة لي هي في قطر وعليَّ الإقامة في وبلدي ومواجهة صعوبات العيش بكرامة. بدأت أبحث بعد أن يئست من العمل في الحكومة، عما يمكنني مزاولته من عمل، حتى رجحت في ذهني فكرة تأسيس "برادات الامل " موضوع القسم التالي من هذا الفصل.

٢-٩

فكرة برادات الأمل

أخذت أفكر جدياً في عمل تجاري خاص بي في قطر، وذلك عندما يئست من العمل في الحكومة بعد أكثر من أربعة أشهر قضيتها في اتصالات ومراجعات للحاكم ونائب الحاكم دون بارقة أمل. كان العمل التجاري هو المجال المتاح المعقول، فلن أجد وظيفة مناسبة لتخصصي وطموحي في قطر مادامت الحكومة مصرة على منعي وحرماني من الوظيفة الحكومية.

وقد كان رأس المال عقبة أمامي فبدأت أبحث عن عمل تجاري برأسمال بسيط في حدود ما تم عرضه علي من قرض حسن لم يتجاوز مبلغ ١٥ ألف ريال سعودي (١)، وهو مجموع ما انتويت اقتراضه من شخصين أحدهما قريب والآخر صديق عرضا علي مشكورين قرضا حسنا.

كانت فكرتي الأولى هي فتح مكتب وساطة تجارية (قمسيون) يختص باستيراد وتصدير مواد البناء، لأنه لا يحتاج إلى رأسمال، وكنت قد قمت ببعض المراسلات مع الخارج وأجريت اتصالات مع تجار مواد البناء والأدوات الصحية في قطر، ولكنني من خلال تلك المراسلات والاتصالات أدركت بأن مزاولة ذلك النشاط يحتاج إلى وقت طويل. لذلك قررت أن ابحث عن نشاط تجاري آخر بينما استمر في محاولة انشاء النشاط الرديف في مجال القمسيون بقدر ما يسمح به الوقت والظروف والفرص.

ومن بين النشاطات التي فكرت فيها وتشاورت مع الأصدقاء حولها، برزت فكرة تأسيس برادات. والبرادات في ذلك الوقت نوع جديد لمحلات تجمع تجارة المواد الغذائية والمواد المثلجة والاحتياجات العائلية والمنزلية. وهو محل أحدث وأكبر حجماً من البقالة التي كان أهل الشام أسبق الى التخصص فيها. كما أن البرادات في الوقت نفسه أرقى وأحدث من دكاكين المواد الغذائية والمعلبات التي تفرد بها بعض تجار سوق واقف.

ومن الأمور التي رجحت كفة فكرة تجارة التجزئة في المواد الغذائية على غيرها من أنواع التجارة، هي أن محلات التجزئة في المواد الغذائية لا تعتمد على زبون واحد او قلة من الزبائن وإنما تعتمد على جمهور كبير ومتنوع من الزبائن الذين يصعب الضغط على أكثرهم في مسألة الامتناع عن الشراء من متجر معين، فقد كنت أخشى من احتمال تضييق الحكومة علي وصد التعامل معي إن اقتصرت في تجارتي واعتمدت على مشتريات إدارات حكومية أو على التعامل مع عدد محدود من الزبائن يمكن التأثير على قرارهم في التعامل معي.

******

ولا يفوتني عند ذكر دور التجار الايرانيين في تجارة المواد الغذائية، أن أتوقف عند ظاهرة سيطرة التجار من الايرانيين على سوق الفواكه والخضار و تجارة المواد الغذائية والدكاكين التابعة لكل تاجر جملة في المواد الغذائية منهم آنذاك والتي كانت تنتشر في الاحياء السكنية ويزاول البيع فيها عادة، وافدون من إيران ضمن نظام طوره تجار الجملة وهيمن على تجارة التجزئة في المواد الغذائية حتى أن

أحد كبار تجار الجملة، كان يملك لوحده ويزود بالبضاعة مئات من دكاكين التجزئة منتشرة في أرجاء الدوحة وضواحيها تعمل بوصفها فروعاً مسجلة تحت رخصة سجله التجاري.

وقد أدى هذا النظام إلى أن يكون أكثر من ٩٠% من العاملين في تجارة المواد الغذائية من الوافدين الايرانيين، الأمر الذي يعكس مظهرا رئيسيا لمخاطر الهجرة الايرانية في ذلك الوقت، والتي كنا نحذر من تبعاتها عندما كنا في نادي الطليعة وفيما بعد من خلال القنوات المتاحة.

ولعل استشعار المجتمع لهذا الخطر دفع الحكومة فيما بعد، الى تشجيع تأسيس الجمعيات التعاونية الاستهلاكية بعد قيام "الحركة التصحيحية في عام ١٩٧٢ " عندما أصدرت الحكومة قانون رقم (١٢) لسنة ١٩٧٣ بإنشاء الجمعيات التعاونية، وساعدت في تأسيس جمعية مدينة خليفة التعاونية في عام ١٩٧٤.

وجدير بالذكر ان الجمعيات التعاونية التي انشىء عدد منها، قضت على ظاهرة أحتكار الايرانيين لتجارة المواد الغذائية وخففت من مخاطر الهجرة إلى حين. ثم عاودت الهجرة إلى تفاقمها - مع الأسف - في الوقت الحاضر، و أخذت أشكاال خطيرة جدا وبوتيرة متسارعة ومن مختلف الجنسيات و جعلت من المواطنين أقلية من أصغر الاقليات في وطنها، غرباء في بلدهم بعد أن أصبحت الهجرة اليوم تهدد باقتلاع الجذور.

******

ومن البرادات المعروفة القائمة في ذلك الوقت برادات قطر وتملكها عائلة الدرويش وبرادات علي بن علي وبرادات الساعي، وكانت هذه البرادات مكان تسوق للأجانب والقطريين وغيرهم من العرب من الموظفين والطبقة الوسطى، حيث تتوفر فيها المواد المثلجة مثل الدجاج الذي كان أهل قطر يسمونه دجاج الكانتين تمييزا له عن الدجاج البلدي الطازج الذي اصبح نادرا. كما تضم اللحم المثلج والأيسكريم والكيك، إضافة إلى المعلبات والمواد الغذائية الجافة وأنواع الكيك ألاخرى و ومواد تحضيره والجلي، إضافة إلى مختلف أنواع العصائر وغيرها من المواد الغذائية، ومواد التنظيف والتجميل والأواني المنزلية. لقد كانت البرادات مكانا لبيع كافة السلع التي استجد استهلاكها في البلاد مع قدوم الوافدين وتغيَر عادات القطريين الغذائية والاجتماعية. كما كانت البرادات كبيرة الحجم نسبيا، متنوعة البضاعة وهي أقرب إلى السوبر ماركت اليوم، يجد فيها المتسوق ما يحتاجه ويتوقع الحصول عليه.

وجدير بالذكر أن الدجاج واللحوم المثلجة لم تكن معروفة ولا مألوفة في قطر قبل النفط، وعندما توفر الدجاج المثلج معتدل الثمن اصبح احدى الوجبات الرئيسية في معظم البيوت القطرية وصار ينافس السمك باعتباره "الودام " الرئيسي لوجبة الغداء. وذلك لسرعة الحصول عليه وسهولة تحضيره واعتدال ثمنه مقارنة بالدجاج البلدي. ويشاع في قطر أن كثرت أكل الدجاج المجمد رفعت نسبة العقم وتأخر الحمل عند النساء بسبب كثرة الهرمون في ذلك الدجاج التجاري.

ومن الطريف أن نساء قطر كن يطلقن على النساء غير القطريات وخاصة بيض البشرة الممتلئات منهن، اللائي تزوجن من قطريين لقب "دجاج الكانتين " وذلك بعدما كثرت الزيجات من غير القطريات خاصة بالنسبة للمتزوجين من الرجال في أواسط العمر. وكان ذلك تعبيرا عن اعتراضهن وامتعاضهن و سلاح دفاع القطريات المتاح تجاه ظاهرة الزواج للمرة الثانية من غير القطريات،

فوصفن منافساتهن بأنهن كدجاج الكانتين المثلج ؛ متوفر وأقل سعراً و ذي منظر جذاب ولكنه غير طازج وغير لذيذ لذة الدجاج البلدي.

******

بدأت التفكير في اسم البرادات وكان هناك الكثير من المقترحات، ولكن اقتراح احمد الخال فاز بالقبول من الاصدقاء ومني. أقترح احمد الخال ان يكون الاسم " برادات الأمل " لما تحمله التجربة من أمل في الاستغناء عن الاعتماد المطلق على الوظائف الحكومية وما قد توفره المحاولة من استقلال اقتصادي لذوي الرأي والمواقف الوطنية.

وقد اخترت صفة الامل الذي ما زلت أتمسك به " وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل " كما يقول المتنبي، لأطلقها على المؤسسة الخيرية التي اتطلع الى تأسيسها في قطر، وألتي تقدمت بطلب توثيقها في السجل العقاري كمؤسسة خاصة ذات نفع عام (٢). ومما يؤسف له حقا ، أنه لم يتم بعد الإيعاز الذي يطلبه مسئول السجل العقاري، ولم يتحقق توثيق مؤسسة ألأمل باعتبارها مؤسسة خاصة ذات نفع عام بعد ثلاث سنوات من تقديم الطلب.

وما زلت أنتظر وأنشد المساعدة لتوثيق عقد مؤسسة الامل المركون جانبا عند وزير العدل، كي تتمكن هذه المؤسسة الثقافية الخيرية من رعاية نشاطات الدراسات والبحث العلمية التي أقوم بها خارج قطر وداخلها وتطور ما لم اتمكن بعد من تطويره من مشروعات أكاديمية وخيرية، لاسيما مشروع دراسات الديمقراطية في البلدان العربية الذي يتخذ من أكسفورد مقرا له، و مشروع المدرسة العربية للدراسات والبحوث (٣).

بعد اختيار اسم "برادات الأمل " ذهبت إلى السجل التجاري وسجلت "برادات الأمل " التي حصلت على سجل تجاري رقم ٣٩٥، في الوقت الذي كان فيه تسلسل ارقام السجل التجاري يعد بالآلاف. ويعود ذلك إلى اجتهاد مسئول السجل التجاري في البحث عن رقم قديم ملغى أعاد تخصيصه لي من باب التعاطف معي، وكان ذلك التعاطف بشير خير. وكذلك كانت مراعاتي من قبل محمد بن سيف المعضادي مسئول بريد الدوحة الذي خصص لي صندوق بريد قديم لم يعد مستخدماً هو (ص.ب. ١١٣)، في وقت تجاوزت فيه ارقام صناديق البريد في مدينة الدوحة الآلاف أيضا. ولم يزل هذا الصندوق، صندوق بريدي الخاص حتى اليوم.

لم أبحث كثيرا عن محل استأجره مقرا لبرادات الامل، فقد كان الرجل الخيّر الشيخ عبد الله بن تركي قد شيد بناية جميلة في شارع رأس أبو عبود عند النهاية الغربية الشمالية من جسر رأس أبو عبود اليوم، القريب من منزلنا في ام غويلينه، على طريق ذهاب عمال شركة شل الى العمل في رأس أبو عبود وإيابهم منه، وفي موقع يتوسط أحياء الدوحة الشرقية حتى آخر أم غويلينه جنوبا.

اتصلت بعبد الله بن تركي الذي أعرف بعض مواقفه الطيبة خلال فترة عملي في وزارة المعارف وكان يتولى فيها توجيه العلوم الشرعية، وأحيانا يقوم بمهمة مدير المعارف بالوكالة في فترة الصيف. رحب بي الرجل السمح ووافق على تأجير المحل بإيجار مناسب فيه مراعاة وفترة سماح وسلمني مفاتيح بابين من الابواب الاربعة التي يتكون منها الدور الارضي من المبنى.

بدأت فورا في إعداد المحل وتجهيزه وتموينه بالبضاعة. وكان على ان افعل ذلك كله في حدود الميزانية المتاحة وهي خمسة عشر الف ريال.

استعنت بأحد الجيران لتجهيز رفوف المحل وقد كلفني ذلك ثلاثة آلاف ريال مع الاجرة المتواضعة التي أصررت على الجار أن يتقاضاها بعد أن اراد ان يكون عمله مساعدة لي. وضعت حوالي ألفي ريال جانبا لشراء طاولة وكراسي ومكينة للنقدية من علي بن علي. ثم اشتريت سيارة نصف نقل ماركة هولدن صناعة أسترالية مستعملة ثلاثة ارباع العمر او أكثر، من محمود اليوسف من أهل الوكرة بثلاثة آلاف ريال. وبذلك خصصت حوالي ثمانية ألاف ريال لتجهيز المحل وشراء السيارة المستخدمة والتي تعين علي ان أقودها بنفسي. لذلك تقدمت بطلب رخصة قيادة مركبة من إدارة المرور وكان ابن خالي احمد بن راشد الكواري نائب المدير فيها، فيّسر لي إجراءات الفحص الذي استعددت له واجتزته وحصلت على الرخصة.

تم اعداد الرفوف البسيطة المكونة من ألواح من الخشب مصفوفة أفقيا ومثبتة بالصواميل (البراغي) على زوايا من الحديد، وأصبح المكان مهيئاً لجلب البضاعة وترتيبها. وهنا برز انكشاف الميزانية التي لم يبق منها سوى سبعة آلاف ريال في حين ما زلت لم اشترِ بعد الثلاجات اللازمة للتبريد. ذهبت إلى محمد كمال مدير شركة أمانا ولم أكن أعرفه من قبل ووجدت فيه رجلا سمحا، وافق على ان يبيعني الثلاجات بأقساط شهرية ويعطيني فترة سماح للتسديد بعد ان أدفع الف ريال مقدم. اتفقت معه واشتريت الثلاجات وأصبح المحل معدا لاستقبال البضاعة.

ذهبت إلى برادات قطر واتفقت مع مديرها الانجليزي على تزويد برادات الأمل بالمواد المثلجة من دجاج ولحم وأيسكريم وكيك مثلج، وكذلك تزويد المحل بكميات صغيرة من البضائع التي يعرضونها في برادات قطر في حدود ٣٠٠٠ ريال. وذلك مقابل خصم متواضع قدره ١٥%، على أسعار بيع التجزئة لديهم، على أن اقوم بالتسديد أسبوعيا. وقد وافقوا مشكورين على تلك التسهيلات، ربما رغبة في نشر ماركة البضائع التي يختصون بوكالتها وأيضا لوجود هامش ربح كبير يتقاضونه على البضائع التي اشتريها منهم.

ذهبت إلى سوق واقف لشراء البضاعة الرئيسية للمحل ولم يبق لدي من القرض سوى ستة آلاف ريال وكنت بحاجة لشراء بضائع يقدر ثمنها بحوالي اثني عشر الف ريال. وبعد زيارة عدد من كبار تجار سوق واقف، توقفت لحسن حظي عند محل يوسف شيخ حسن الانصاري، وكان هو وشقيقه أحمد وعدد من أقربائهم من كبار تجار المواد الغذائية في سوق واقف. شرحت له وضعي وحاجتي فوجدت لديه استعدادا لتزويدي بالبضاعة التي أحتاجها من دكانه ودكان اخيه أحمد ومن له علاقة تجارية معه وكفاني حاجة التعامل مع عدد كبير من التجار. اتفقنا على أن يتقاضى يوسف ستة آلاف ريال والباقي دين أسدده واخذ بضاعة أخرى بمثل ما سددت. اكتملت كل التحضيرات وبدأت أستعد لنقل البضاعة وصفها على الرفوف وفي ملء الثلاجات لتجهيز المحل وافتتاحه أمام الجمهور.

كان لا بد من توظيف بائع ومساعد لي يحمل رخصة قيادة ويتحدث العربية ويعرف القراءة والكتابة، وقد وجدته في شخص موسى الذي تربى في قطر وهو بدون جنسية آنذاك على ما يبدو، من أصل سندي التحق بمدارس قطر حتى الصف السادس الابتدائي. فوظفته فورا وبدأنا في نقل البضائع التي قررنا عرضها وقد أخذ منا نقل البضائع الرئيسية عدة ايام قصمت ظهورنا ارهاقا، وبقيت أمامنا مهمة تصنيفها وتسعيرها ووضعها على الرفوف.

ولم يدخر اصدقائي جهدا في مساعدتي في المرحلة الاخيرة الصعبة وهي التصنيف والتسعير ووضع البضاعة على الرفوف. فتحول المحل إلى خلية نحل لمدة ثلاثة ايام بلياليها نعمل بطريقة الفزعة التقليدية التي تحمس للمشاركة فيها بعض طلاب المدارس من زملاء شقيقي يوسف ومنهم على ما أذكر محمد معيوف النعيمي وعلي بن يوسف بن راشد المهندي الذي انتقل إلى رحمة الله بعد ذلك في حادث سير أليم على طريق الخور عام ١٩٦٨. وذلك عندما كان علي يقضي الاجازة في قطر بعد ان التحق بالدراسة الجامعية في مصر. ويذكر الصديق شافي النعيمي أن علي كان يسكن عند خاله ناصر المسند في القاهره ولكنه أكثر الاوقات كان يقيم مع شافي الذي كان يدرس الهندسة المعمارية في مصر، آن ذاك.

كما شارك معنا عبد العزيز بن محمد المناعي الطالب في المرحلة الثانوية، واحمد بن سعد الخليفي وهو طالب أيضا في المرحلة الثانوية موهوب في حفظ المعلومات خاصة الجغرافية والتاريخية منها يتحدى كل من يقبل التحدي، وقد أضفى وجوده احمد الخليفي معنا روحاً من المرح لاسيما عندما يتفوق احمد على بقية الزملاء ويحرجهم بمعرفته الموسوعية وحفظه للمعلومات عن ظهر قلب فيضحك بقية الزملاء على من افحمه أحمد الخليفي بإجابته الدقيقة والسريعة.

وبفضل مساعدة بقية الاصدقاء الذين اتوا من الوكرة والريان ووادي السيل وبقية أنحاء الدوحة للمساعدة في مهمة تسعير البضاعة ورصها على الرفوف، انتهت المهمة الصعبة في جو من المرح والأمل. وقد تذكرت عندها أعمال الفزعة التي يقوم بها الرجال في الغارية عندما يقرر شاب فيها الزواج وتبرزحاجته لبناء دار للعروس.

وفي أواخر عام ١٩٦٦ أو أوائل عام ١٩٦٧ فتحت برادات الامل أبوابها للتعامل مع الجمهور وكان اول المتعاملين هم المتطوعون في تصنيف البضاعة وتسعيرها ورصها على الرفوف وكذلك المتفرجون على تلك الفزعة من بقية الأصدقاء والجيران.

برادات الامل من فكرة إلى واقع

أصبحت الفكرة حقيقة، بعد افتتاح برادات الامل في أواخر عام ١٩٦٦ أو أوائل عام ١٩٦٧، فلست أتذكر ألأن بالتحديد تاريخ افتتاح برادات الامل، ولكنني اتذكر بوضوح وجلاء مدى معاناتي الشخصية، لمدة تناهز خمسة شهور قضيتها في المراجعات المريرة والبحث عن عمل، وأتذكر جيدا الإحراج الذي شعرت به كلما سئلت من قبل ألأخرين عن العمل الذي عينت فيه.

كما أتذكر كم كانت سعادتي بعد أن أصبح لدي مصدر رزق وعمل شريف أذهب إليه كل صباح ومساء، بعد أن ضيقت علي حكومة قطر الخناق بقصد كسر إرادتي وإجباري على التوسل وطلب العفو من الحاكم عن موقف لا أعتبره ذنبا قد أقترفته، او دفعي الى الهجرة من وطني قطر.

******

كانت برادات ألأمل حين افتتاحها هي البرادات الوحيدة في شرق مدينة الدوحة، وربما تكون البرادات الرابعة في الدوحة قبل ان ينتشر هذا النوع من محلات بيع المواد الغذائية والاحتياجات المنزلية في قطر إلى جانب بقالات أهل الشام ودكاكين سوق واقف وفروعها في الاحياء السكنية.

كان أهل قطر والمقيمون العرب خير معين لي حيث توافدوا على برادات الامل منذ اليوم الاول من باب التعاطف والتضامن، فضلا عن أن برادات الامل قدمت خدمة ولبّت طلباً لدى أهل المنطقة وسدت حاجتهم. وقد وجدت نفسي ومساعدي ومن تطوع لمعاونتي من الاصدقاء، غير قادرين على مواجهة الاقبال الكبير ولا تلبية الاحتياجات منذ اليوم الاول بعد أن نفدت بعض أنواع البضاعة، خاصة التي اشتريتها بكميات صغيرة من برادات قطر.

فاقت مبيعات المحل في اليوم الأول الالف ريال على ما أتذكر وكنت فرحا بذلك، أنتظر صباح اليوم التالي لأقوم بتزويد المحل باحتياجاته من البضاعة، وأزيد عليها ما تم السؤال عنه من قبل الزبائن ولم يكن متوفرا. وقد فتحنا سجلا نكتب فيه كل نوع من أنواع البضاعة سأل عنه زبون ولم يكن متاحا لكي نقوم بتوفيره في اليوم التالي، واستمر هذا السجل موجودا باعتباره من الأجراءات المرعية التي سار عليها العمل في برادات الامل.

كنت أقف خلف صندوق النقدية وأمعن النظر في وجوه طيبة أعرفها خير المعرفة، وأخرى خيرة تسلم علي وتبتسم ولم يكن لي شرف التعرف عليها من قبل. بعضها من العاملين في شركة شل في رأس أبو عبود الذين انتشر بينهم بسرعة خبر افتتاح برادات الأمل، وبعضها الآخر أتى من الاحياء المحيطة بالبرادات، من فرجان أم غويلينه والخليفات والهتمي واسلطه والرفاع حيث كنا نسكن سابقا. وجاء آخرون من مناطق أبعد في مدينة الدوحة، من فريج بن عمران ووادي السيل والرميلة والبدع والجسرة. وأتى البعض من بعيد؛ من شمال قطر ومن الخور، كما أتوا من الوكرة والريان وضواحي الدوحة الأخرى. تعرفت على أضعاف ممن كنت أعرف، ومن كنت أعرفهم ولله الحمد كانوا كثرا، وقد سعدت بحرارة مشاعرهم وتضامنهم .

استمرت برادات الأمل في استقبال زبائنها وانتظم العمل فيها وتوسع من حيث تصاعد حجم المبيعات وتنوعها حتى بلغت مبيعاتها خلال اسبوعين على ما أذكر حوالي ٢٠ ألف ريال أي ما يفوق قيمة البضاعة المعروضة، الأمر الذي مكنني من تسديد الديون وتغطية قيمة البضاعة التي زودت بها المحل عند الافتتاح وشراء بضائع بديلة وأخرى جديدة لمواجهة احتياجات الزبائن وما يتوقعون توفره في برادات الامل. كما تم توظيف مساعد آخر اسمه عبد اللطيف وتبعه ثالث اسمه علي أصبح مسئولا عن البرادات بعد عدة سنوات عندما بعت البرادات الى مبارك بن خميس الخليفي وخليفة السدير من فريج الخليفات، وغادرت قطر للدراسة في بريطانيا عام ١٩٧١.

******

أضفنا بابين آخرين للبرادات ليصبح المحل أربعة أبواب، لكي تستوعب البرادات مزيدا من البضاعة فضلا عن طرح الصحف العربية للبيع . تصاعدت مبيعات المحل بسرعة من شهر الى آخر وازداد دوران البضاعة فيه، وسمحت أرباحه بعد ستة شهور بتسديد أقساط الثلاجات وتسديد قيمة القرض الحسن ومضاعفة قيمة مخزون البضاعة المعروضة عدة مرات وذلك بعد مواجهة كافة المصاريف وتوفير المتطلبات النقدية لمشتريات البضاعة.

امتد تعاملنا إلى برادات علي بن علي وبرادات الجمهورية العربية وقاسم و سعيد أحمد سعيد، وهو أستاذ اللغة العربية في مدرستنا الابتدائية في عام ١٩٥٧ والذي مازلت أذكر – بمرارة – تعنيفه لي كما لم يعنفني استاذ غيره، عندما أخطأت في قواعد اللغة العربية ولم يكن ذلك الا بسبب عدم انتظام دراستي وفوات فرصة استيعابي التدريجي لقواعد اللغة العربية. وهذه المشكلة ما زلت أعاني منها ولم يفد تعنيف الاستاذ سعيد لي، بل ربما خلق لدي عقدة تجاه قواعد اللغة العربية جعلتني أتهيب دائما إعادة دراسة قواعدها.

ازداد - بمرور الوقت - رواد برادات الامل وزبائنها المنتظمون وبلغ عدداً أحسد عليه من قبل تجار التجزئة، وقد كان ذلك حافزا لبعض القطريين، واذكر منهم سعد بن حسن المطوي المهندي رحمه الله ، جد الصديق سعد بن راشد المطوي الذي افتتح عيادة الأمل في عام ١٩٦٨ بعد مدة من تأسيس برادات ألامل، وتبعها بتأسيس "صيدلية الأمل الحديثة " في شارع مشيرب.

******

ولعلي لا أبالغ إذا ذكرت لكم انني ما زلت حتى اليوم أصادف أناساً يذكّرونني ببرادات الامل ويذكرون بأنهم جاءوا إليها عندما كانوا أطفالا أو طلابا في المدارس القريبة لبرادات الامل.

وأخص منهم بالذكر محمد عبيد غباش الذي كان في قطر مع والدته في ذلك الوقت. وكما أخبرني محمد كانت السيدة والدته موزه بنت سعيد بن مزينه رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه صاحبة وعي سابق لزمانه، تصطحبه معها إلى برادات الامل لتريه كيف يعيش الانسان مرفوع الرأس محافظا على كرامته، وتربيه على مبدأ الاحتفاظ بالكرامة، الأمر الذي لا ينقص الصديق الحريص أبو سيف بل ربما بالغ في تطلبه حتى تحمل المعاناة جرائه.

والزميل محمد غباش هو من أصدر مع شقيقه غانم غباش مجلة الازمنة في الشارقة في أواخر سبعينيات القرن العشرين، ويذكر له كأستاذ للعلوم السياسية في جامعة الامارات قدرته على التحليل

الثاقب والموضوعي ومن ذلك تحليله الجريء للعلاقة غير المتوازنة بين السلطة والمجتمع في دول مجلس التعاون والتي وصفها بأنها " سلطة أكثر من مطلقة ومجتمع أقل من عاجز " .

كما تعرَّف علي صدفة منذ اشهر في عام ٢٠١٤ في قاعة الرياضة في فندق الفور سيزن، أحد طلاب مدرسة رأس أبو عبود الثانوية من رواد برادات الامل بينما لم أتذكر اسمه حينها، وأن كنت لا أنكر وجهه ألمألوف في ألصحافة وأجهزة ألإعلام القطرية.

قال لي أنه يعرفني منذ كانت برادات الامل التي كان يتردد عليها مع طلاب مدرسة رأس أبو عبود الثانوية. ويبدو انه سأل عن أسمي في الفندق قبل ان يسلم علي، فقد كان يعرف أسمي دون أن أتذكر أسمه. أصررت على معرفة أسمه الكريم، وبعد تردد قال أنه محمد بن عيد الثاني رئيس هيئة رعاية الشباب الأسبق الذي لم تتح لي فرصة التعرف عليه شخصيا في حياته الوظيفية وأن كنت أعرف عنه، فتذكرت والده الذي كان لديه مكتب على الشارع الدائري الثاني قبل موقع برج المالكي في الجهة المقابلة، وعرفت كم هو مثل والده الرجل الخير دمث الاخلاق الذي أستحق ان تنشا مؤسسة عيد الخيرية في ثوابه وإحياء ذكراه.

******

ويلاحظ أن برادات الامل كان لها أبعادٌ أخرى غير البعد التجاري، وذلك بحكم علاقاتي فقد كانت البرادات ملتقى يتصادف فيه ويلتقي بعض المعنيين بالشأن العام من القطريين، حيث يجري تجاذب أطراف الحديث وتبادل الاهتمامات والهموم. كما كان مكتبي في آخر البرادات مكاناً يجتمع فيه الاصدقاء والزملاء من الطيف الوطني الذي مثّله أعضاء نادي الطليعة ومن اقترب وطنيا منهم من معارف وأصدقاء الزملاء. يقرؤون الصحف ويتبادلون الاراء ويرتبون اللقاءات والعزائم المسائية الدائرة فيما بينهم في منازلهم أو في المطاعم، كما ينظمون الرحلات التي لم تنقطع صيفا أو شتاء وإن أصبحت متباعدة الفترات.

وعندما وقعت حرب ١٩٦٧ كان الشباب يلتقون ويشاركون في المظاهرات، حيث وجدت في مدينة الدوحة. وأذكر مظاهرة خرجت وشاركت فيها في شارع مشيرب وشارع الكهرباء قبل أن تتحقق هزيمة ١٩٦٧ باحتلال الجولان. وأخرى سارت في سوق واقف وقد رأيت الوالد خالد بن علي الخليفي يشارك فيها بتلقائية رافعا طرف بشته بيده اليمنى وكأنه في عرضة من عرضات أهل قطر أيام الشدة والحمية، وليس من عرضات الأعياد والمناسبات الاحتفالية الشكلية التي نسمع عنها اليوم والتي جردت العرضة القطرية من روحها ومن بعض معانيها وقيمها.

لم تتعرض ألشرطة ولا الفداوية ولا غيرهم لتلك المظاهرات وكانت تلقائية، حركتها سريعة وعدد المشاركين فيها محدود، متأثرين آنيا بما يذاع من أخبار انتصارات وهمية أو هزيمة غير متوقعة، أو نكسة أسفرت عنها حرب ١٩٦٧ يتطلعون للخروج من تداعياتها.

ويلاحظ على تلك المظاهرات إنها لم تكن بالكثافة والتحدي الذي شهدته مظاهرات عام ١٩٥٦ عندما جرى العدوان الثلاثي على مصر، ولا حماس المظاهرات التي صاحبت حركة ١٩٦٣ تأيدا لقيام الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق. وهذا مؤشر على مدى تراجع القدرة على التعبير لدى أهل قطر والمقيمين العرب بعد إجهاض حركة ١٩٦٣، فضلا عن حالة الضعف العربي العام.

ويذكر جارنا في أم غويلينه الدكتور يوسف أبو ألفين أنه عندما كان طالبا آنذاك، حضر تجمعاً خطابياً في عام ١٩٦٧ في ملعب نادي التحرير القريب من برادات الأمل، وانه رآني أقف خطيبا في الحضور. وفي الحقيقة انني لا أتذكر ذلك، ولكنني اذكر اننا اتخذنا من برادات الامل مقرا لحملة شعبية لجمع التبرعات لمنكوبي حرب ١٩٦٧.

وقد تم ذلك بالاتفاق مع عبد الله بن تركي الذي كان هو وعبد الله الأنصاري مكلفين من قبل الحكومة بجمع التبرعات الاهلية من خلال المرور على المجالس او مرور مندوبيهم من النساء على المنازل. وكانت ممثلة عبد الله بن تركي هي السيدة آمنة محمود أول مدرسة ومديرة قطرية لمدرسة ابتدائية للبنات .

اتفقنا مع عبد الله بن تركي على أن ننظم حملة شعبية لجمع التبرعات. وقمنا بتكوين سبع لجان تتحرك بسيارات ومكرفونات في سائر أرجاء قطر لجمع التبرعات. وقد فوجئنا بكثرة التبرعات العينية التي جمعتها اللجان السبع مما جعلنا نحتاج إلى مخازن لكي نحفظ التبرعات فيها. وقد اذن لنا عبد الله بن تركي مشكورا، أن نستخدم لذلك محلاً من اربعة ابواب يقع خلف المبنى الذي توجد فيه برادات الامل.

كانت التبرعات النقدية جزيلة وسخية بالنسبة لحال أهل قطر آنذاك، وتبرعت النساء بالذهب ومنهن أخت الصديق ناصر بن احمد الثاني التي تبرعت بصيغتها، لما شعرت به من حاجة لتعزيز المجهود الحربي أكثر من حرصها على الذهب.

بلغ عدد المتطوعين لجمع التبرعات حوالي ٤٠ فردا وحوالي عشر سيارات ذهبت إلى الشمال والخور والوكرة، بالإضافة إلى الدوحة وضواحيها. وقد شارك في الحملة زملاؤنا في نادي الطليعة وأصدقاؤهم وأذكر منهم عبد الرحمن ابراهيم المناعي و فهد بن فهد الخاطر الذي عاد متأخرا من المملكة العربية وعبد الرحمن بن حمد آل ابراهيم العطية الذي تعرفت اليه لأول مرة أثناء تلك الحملة وأن كنت على معرفة جيدة بشقيقه الأكبر عبد الله بن إبراهيم آل ابراهيم عندما كنت طالبا ادرس الاعدادية في مصر عام ١٩٥٩.

وإذا كان عليَّ ان اذكر مشاعري بالنسبة لخسارة حرب ١٩٦٧، فأنني فوجئت كما فوجىء غيري من العرب بمسار الحرب ونتائجها المدمرة. ولكنني لم أشمت بسبب إبعادي من مصر أو مأخذي على انقلاب ١٩٦٦ في سوريا، وأنما نظرت إلي الهزيمة باعتبارها معركة خسرها العرب في حرب مصيرية ولن تكون أخر المعارك بالرغم من مرارتها وعدم توقع حدوثها.

ولا يفوتني أن أذكر أنني لم الحظ شعورا بالشماته لدى أطراف التيار القومي والقوى الوطنية بالرغم من خلافاتها بل صراعها في ذلك الوقت، ولم ألمسه حتى في معسكر الرجعية العربية كما كان يقال آن ذاك. بل شعرت بتضامن العرب في وقت الشدة وأستعدادهم للقيام بالواجب الذي يتطلب منا الوقوف وراء المقاومة الفلسطينية وجهود حرب الاستنزاف التي لم يطل إنتظارها.

******

أن برادات ألأمل كانت اتجاهاً إجبارياً فرضته علي الظروف، ولم يكن لي من مناص عن السير فيه بالرغم من وعورته وعدم وضوح النهاية التي يؤدي إليها هذا الاتجاه الاجباري الذي وجدت نفسي مضطرا لسلوكه، بسبب أصراري على رفض فكرة الهجرة من قطر وعدم رغبتي فيها.

وبفضل الله والتعاطف والتشجيع الذي لقيته الفكرة، تجاوزت وعورة الاتجاه الاجباري الذي عبدّته المشاعر الطيبة ومهدت لي السير عليه بالرغم من وعورته. وأنا اليوم على يقين أن ألأثار الايجابية لحقبة برادات العمل على مسار حياتي تفوق بكثير ما واجهته من صعوبات آنية.

وحقبة برادات الأمل من ١٩٦٦-١٩٧١ والتي تناولت في هذا الفصل سنة واحدة منها وبقي علي أن أستكمل في الفصل التالي خمس سنوات أخري، اسست لانطلاقي في الحياة وكونت جزءا من شخصيتي ومكنتني من اختبار الطريق التي قررت السير فيها.

إيضاحات

١- طرحت حكومة قطر بموجب مرسوم بقانون رقم (١٣) بتاريخ ١٩٦٦/٦/١٥ ، بعض أوراق النقد السعودي للتداول في قطر لتكون بديلا للروبية الهندية حتى يتم تداول نقد قطر ودبي. وذلك في ضوء فشل إتفاقية نقد الخليج العربي المصادق عليها عام ١٩٦٥. أنظر:
إدارة الشئون القانونية ، مجموعة قوانين قطر حتى ١٩٦٦، الدوحه ، مطابع علي بن علي ، د.ت. ص٦٢٥-٦٩٣.

٢- أنظر : http://dr-alkuwari.net/node/392

٣- أنظر http://akak.nsms.ox.ac.uk/node/156 :